قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

محمد جبريل

تضمن العدد الماضي من « الاداب » ثلاثة ابحاث : ملفا عن مؤتمر اليونسكو الثامن عشر ، وما يتصل بالقرارات التي اصدرها ، وردود الافعال على المستويات المختلفة .. وبحثا للاستاذ ادوار الخراط عن ندوة الادب والاجيال الجديدة ، التي اقيمت ـ مؤخرا ـ في الفلبين .. ودراسة تحليلية للاستاذ صبري حافظ ، لواحدة من مسرحيات مكسيم جوركي التي لم تترجم الى العربية بعد .

ولقد عقدت منظمة اليونسكو سبع عشرة دورة سابقة ، لم تثر ما اثارته هذه الدورة الاخيرة ، ذلك لان المنظمة المسئولة عن التربية والعلوم والثقافة والاعلام قد ادانت الكيان الصهيوني في قرارات هامة، بسبب تواصل سياسته التي تهدف الى تبديد التراث الوطني الفلسطيني، من خلال الحفائر التي يقوم بها في مدينة القدس . وكان في مقدمة تلك القرارات : عدم ادراج اسرائيل في الانشطة الاقليمية الثقافية ، وادانة سياستها فيما يتصل بالاستمرار في اجراء التنقيبات والحفائر في المدينة المقدسة . بالاضافة الى قرار بقبول منظمة التحرير الفلسطينية مراقبا في المنظمة ، وقرار اخر بعدم قبول اسرائيل في المجموعة الاقليمية الاوروبية ..

وبالطبع ، فلقد ووجهت قرارات المنظمة الدولية بحملة عنيفة من اجهزة الاعلام الصهيونية خضع لها ، وشارك في نتائجها، بعض الدول الكبرى ، مثل الولايات المتحدة التي قطعت مساعدتها عن اليونسكو (وتصل الى نحو ربع ميزانية المنظمة) وفرنسا التي انقصت مساعدتها، فضلا عن بعض التحركات الجماعية والفردية ، التي بلغت ذروتها فيما اعلن عن تكوينه من لجان في العديد من العواصم الاوروبية لمناهضة انشطة اليونسكو !.

واذا كانت قرارات اليونسكو قد تركزت حول ما فعلته الحكومة الاسرائيلية في مدينة القدس اساسا، فان الدكتور حليم ابو عزالدين(١) يستعرض التصرفات الصهيونية منذ احتلال ١٩٦٧ ، وازالة الاماكن الاثرية المحيطة بحائط المبكى (لم يفكر العرب طيلة القرون التي تواصلت فيها ملكيتهم للمناطق المقدسة ان يزيلوا الحائط ، برغم انه ـ قانونا ـ جزء من الاوقاف الاسلامية في القدس ، وكان من حقها التصرف فيه على النحو الذي يراه المرء فيما يملكه !) ثم ازالة الحدود بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، وصدور القانون الذي يوحد المدينة ، وتغيير معالمها الى حد اضافة احياء باكملها ، والقيام بحفريات عديدة بالقرب من المسجد الاقصى والاماكن الاثرية والدينية الاخرى . بل لقد امتدت المؤامرة الصهيونية لتهويد القدس الى محاولة حرق المسجد الاقصى بواسطة متعصب ، اتهمته السلطات الاسرائيلية بالجنون ، واعتقلته لفترة ، ثم افرجت عنه .

وفي تقديرنا ان ما اعقب تلك الدورة الاخيرة من ردود افعال ، على مستوى الدول والهيئات والافراد ـ بتحريض مباشر من اجهزة الاعلام الصهيونية ـ انما يوضح دلالات اللامبالاة التي كانت المؤسسة الصهيونية تستقبل بها قرارات الامم المتحدة ، والمنظمات التابعة لها.

لقد اصدرت الامم المتحدة ، ومجلس الامن ، والمنظمات التابعة، عشرات القرارات التي تدين العدوان الصهيوني في مراحل توسعه المختلفة، وفي عملياته الارهابية ، وفي تهجيره للفلسطينيين من اراضيهم، وفي ممارسة التمييز الطائفي والعنصري الخ .. ولكن ردود الافعال الاسرائيلية ـ في المقابل من كل تلك القرارات ـ لم تزد عن الرفض العلني لها ، واتخاذ القرارات المضادة التي تشجب الشخصية الفلسطينية ، وتنفذ سياسة الامر الواقع فيما تسيطر عليه من اراض. وعلى سبيل المثال ، فلقد اصدر مجلس الامن في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٦ قرارا بادانة اسرائيل ، باغلبية ١٤ صوتا ، وامتناع صوت واحد فقط . وبعد اقل من عشرين يوما من صدور قرار الادانة (١٤ ديسمبر ١٩٦٦) اعلن ايبان ، وزير خارجية اسرائيل آنذاك ، ان سياسة المجابهة هي افضل سياسة يمكن لاسرائيل ان ترد بها على جيرانها العرب للمحافظة على حدودها . ثم تلاه اشكول ـ بعد اسبوع واحد (٢١ ديسمبر ١٩٦٦) بالقول ان قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، اصبحت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه ، وان مهمتها ليست مجرد صد الهجمات المتوقعة ، وانما نقل الحرب الى داخل الاراضي العربية !.

ومن المؤكد ان اسرائيل قد ارتكزت في كل مواقفها من ملايين الكلمات التي تضمنتها مضابط الامم المتحدة ، والمنظمات الدولية الاخرى ، الى ان تلك الكلمات قد تشكلت في صيغ مختلفة ، تبدأ باللوم ، وتنتهي بالانذار ، ولكنها لا تجاوز اطر السلبية في كل الاحوال. حتى احتلال اراضي الدول المستقلة الاعضاء في الامم المتحدة (مصر وسوريا والاردن ولبنان) التي تعرضت لعدوان وقتي ، مستمر ، مثلما في الجنوب اللبناني ، وعدوان قائم ، مستمر ، مثلما في سيناء والجولان والضفة الغربية (مع التحفظ الموضوعي على احقية الاردن في نسبة الضفة الغربية الى اراضيه ، والتاكيد على انها جزء من الارض الفلسطينية) لم يجاوز موقف الهيئة الدولية والهيئات التابعة ، حد اصدار القرارات التي لا يتعدى تاثيرها ، مفرداتها اللغوية . ولقد اصدرت منظمة اليونسكو ـ على وجه التحديد ـ خمسة قرارات، منذ ٢٠ اكتوبر ١٩٦٨ الى ٢٤ يونيو ١٩٧٤، ولكن تلك القرارات « بقيت بلا جدوى » ـ والتعبير استعيره من الدكتور حليم ابوعزالدين (٢) ـ واستمرت اسرائيل في سياسة التحدي لكل ما يصدره اليونسكو من قرارات ، تطالب ـ اجمالا ـ بالحفاظ على كل المواقع والمباني والاثار الدينية والثقافية في الاراضي المحتلة ، وفي القدس القديمة بخاصة، وعدم اجراء اي تغيير في معالم المدينة المقدسة ، والامتناع عن اجراء اية حفريات ، او اي نقل للملكية الثقافية ، او اي تعديل في معالمها، او في طابعها الثقافي والتاريخي ، وبالذات فيما يتصل بالمعالم الدينية والمسيحية والاسلامية . ثم اعيد طرح القضية برمتها على المؤتمر الثامن عشر لليونسكو، مع الضغط على الرفض الاسرائيلي المستمر لكل ما اصدرته المنظمة من قرارات وتوصيات . وقدمت الدول العربية ـ والمؤيدة ـ مشروع قرار يتضمن تاكيدا لكل القرارات التي

(١) الاداب ـ العدد الماضي .

(٢) المصدر السابق .

سبق للمنظمة ان اصدرتها ، ويصر على تنفيذها ، ويديـن اسرائيـل لموقفها المتمثل في استمرارهـا فـي تغيير معالم مدينةالقدس« يدعو المديـر العام الى عدم تقديم اي عون في ميادين التربية والتعليـم والعلـم والثقافة آلى اسرائيل ، وذلك الى ان تحترم بدقة القرارات المشار اليها آنفا » .ولان الفقرة الاخيرة ، كانت اول مبادرة ايجابيـة لاحدى المنظمات التابعـة للامـم المتحدة اطلاقا ، او كمـا قال الدكتور احمد فتحي سرور ـ بحق ـ القرار الاول من نوعه في تاريخ منظمات الامم المتحدة الذي صدر بفرض جزاء على اسرائيل (٣) فقد جاء رد الفعل الاسرائيلي في صورة مغايرة تمامـا لكل ردود الافعـال التـي استقبل بها الكيان الصهيوني ما سبق آن اصدرته الامم المتحدةوالمنظمات التابعة لهـا من قرارات . فلقد اتخذت الولايـات المتحدة ـ بتأثيـر صهيوني غلاب ـ قرارا بمنع مساعداتها عن اليونسكـو ، وانقصت الحكومة الفرنسية ـ برغم تفهمها المعلن للحق الفلسطيني ـ معونتها ، كمـا ادان قرارات اليونسكـو عدد من الادبـاء والمفكرين والعلمـاء الخاضعين للتأثيرات الصهيونية . ويـؤكد الاستاذ عزيز الحاج تلـك «الملاحظة» في مقالته عن « قضايانا القومية في مؤتمر اليونسكو الثامن عشر : « ان افضل القرارات التـي تصدرهـا هذه الهيئات الدولية لـن تعني بحد ذاتها ، وبمعزل عـن التطبيق ، شيئا خطيرا ذا حسم .انها قد تكـون ذات قيمـة معنويـة وسياسية انسانية هامة ، غيـر آن ما هـو اهم والذي يشكل المغزى الاخير ، هو ترجمة هذه القرارات الى حيز التنفيذ .وهذا مـا تعرقله في العادة الولايات المتحدة والسائرون في ركابها ، آو قـد يجري مسخ القرارات الجيدة والتحايل عليهـا وتجريدها من روحها » (٤) . ومن هنا تكمن اللاجدوى من كل القرارات التي اتخذتهـا الامم المتحدة ، والمنظمات التابعـة ، لافتقار تلـك القرارات الى « الجزاء » الذي يحدد مسئوليات العضو وانضباطه في دائرة الاجماع او الاغلبيـة ..

لقد مارس الكيان الصهيوني آلاف الجرائم ضد الدول ، وضـد الافراد ، في داخل الارض المحتلة وخارجها . بل لقد امتدت الجرائم الصهيونية الى مناطق اخرى في العالم بواسطة عمليات الاغتيال التـي تولى التخطيط لها جهاز يتبع رئاسة مجلس الوزراء الاسرائيلي بقيـادة قائد كبير (باريف). وتصدت القرارات التي تشجب وتديـن وتلـوم وتنذر وتدعو الى حق شعب فلسطين في تقرير مصيره والعودة الـى اراضيه .. ولكـن وادي الصمت كان يتلقف كل تلـك « الصيـغ » المختلفـة لانهـا لـم تتجاوز ـ بالفعل ـ حدود الكلمات .

* * *

ان الارضية التي ارتكز اليها رفض قرارات اليونسكو الاخيرة ، هي ان نشاط المنظمة الدولية يجب ان يقتصر علـى الجـوانب الفنية البحتة ، دون ان يجاوزهـا الى الشئون السياسية . وبرغم اتفاقنا مع ما يذهب اليه الاستاذ عزيز الحاج في انه لم تعـد في عصرنـا حدود اعتباطيـة عازلة بيـن السياسة وغير السياسة ،وان السياسةاصبحت تدخل حتى الماء الذي تشرب ، والهواء الذي نستنشق (٥) فان قرارات اليونسكو ـ في الحقيقة ـ لم تجاوز حتى الجوانب الثقافية والفنية التي يؤكـد السعار الاعلامي الصهيوني ، والـدول والافراد الذيـن اخضعهم لتأثيراته،انها الاسهام الذي يجب على اليونسكو الا يتجاوزه.

ان التعليـم والثقافة يأتيـان ضمن التسمية الكاملـة لمنظمـة اليونسكو . فهمـا اذن يتصلان اتصالا مباشرا بطبيعـة الـدور الذي انشئت المنظمـة الدولية لادائه . فاذا نظرنـا الى مجموع مـا صدر في فلسطيـن المحتلة من كتب باللغة العربية في مدى ستة عشر عامـا (حتى عام ١٩٦٤) واعتذر لافتقاري الى بيانات احدث ـ مائة وثمانين كتابا فقط ، اي بمعدل احد عشر كتابا وربع الكتاب في السنة الواحدة. مع ملاحظـة ان عدد العرب في فلسطين المحتلة آنذاك ، كان حوالي٢٨٠ الفا ، معظمهم لا يعرف العبرانية (٦) . وبالطبع ، فلقـد تفاقمـت المشكلـة بالنسبة نفسها ، في الاعوام التالية .

وان اكثر من ثلث الاولاد العرب في سن التعليم الالزامي ، لـم يدخلوا المدارس بعد ، فضلا عـن ان مستـوى التعليم يعـد اكثـر المستويات انخفاضا ، ليس بالنسبة للتعليم اليهودي فحسب ، وانما بالنسبة للتعليم في منطقـة الشرق الاوسط جميعـا . ويتصل بتلـك المشكلـة ـ بصورة مباشرة ـ فقدان برامج التعليم الواضحة والمستقرة، وتعرضها لتغيرات كثيرة ، والنقص المتعمد في هيئات التدريس ، وفي الكتب والمواد الدراسية . ولقد انعكس القلق من تردي مستوى التعليم على لجنـة التربيـة والتعليم في الكنيست الاسرائيلي ذاته ،فقالت في تقرير لها : « من واجب وزارة التربية والتعليم آن تبذل الجهد الخاص والعميق ، فتقدم المساعدة لرفع هذا المستوى الى درجة مقبولة »(٧).

وان التمييز الطائفيوالعنصري سمة اساسية فيالمجتمعالصهيوني، ليس بيـن اليهود وابناء الديانتين المسيحية والاسلامية فقط ، وانما بيـن اليهود انفسهم من اوروبيين وشرقيين . لكننا نتجاوز هذه النقطة سريعا ، فلقد قتلت بحثا في عشرات الدراسات لكتاب عرب واجانب ، وان كـان ممـا ينبغي الاشارة اليه ، تلـك الصور العميقة الدلالات لبائع تذاكـر في بيت ليـد يقول لمواطن عربي : اذهب ، واشتر تذاكر من عند عبدالناصر ، ورواد يهـود لاحد المقاهي يشيرون الى السابلةمن العرب قائليـن : عرب . عرب . ماذا يفعلون هنا . وعمال عرب ينادون ـ احيانا ـ باسماء عبرية « لان الزبائـن لا يستلطفـــون اسماءنا العربية » (٨) . ويعلن احد كبـار الموظفيـن الاسرائيليين ـ صراحـة ان وجـود اقلية عربية في اسرائيل يعرض للخطر مستقبـل الدولـة اليهوديـة ان عاجلا او آجـلا .

وللحيلولة دون هذا الخطر ، فان كل شيء جائز، شريطـة ان لا يحدث استنكارا او احتجاجا في العالم ، ويجب البحث عن طريقـة مناسبة للتغطية ، وانتقاء الالفاظ والمصطلحات ، وقد تدعـو الضرورة الى تجاهل الرأي العام العالمي (٩) . بل ان سارتر الذي شارك فـي توقيع عرائض ادانـة اليونسكو ، قد صارح شالوم كوهين في اعقـاب زيارته الى فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ « ان هناك تمييزا ويجـب ان تحاربوه . لا تتوقفوا عن هذا النضال . يجب ان تناضلوا من اجـل التقارب والمساواة مـع العرب . استنكروا التمييز . ارجوكم باسمي ان تستنكـروه » (!) (١٠) .

وان الحفاظ على التراث الحضاري ـ ويدخل ضمنه ، بالطبع ، المناطق الاثرية ـ جهد اساسي لمنظمة اليونسكو . والاتفاقية الخاصـة بحمايـة التراث العالمي ، الثقافي والطبيعي ، التي وقعت في ١٩٧٢، تقول : « ان تلف اي مال ينتمي الى التراث الثقافي والطبيعي ، يشكل خسارة شديدة تصيب تراث الشعوب كلها » (١١) . وفي هـذا الاطار ، كانت اليونسكو أول من بدأ الحملة العالمية في ١٩٦٦ لصيـانة مدينة البندقية . كما شاركت في العديد من عمليات صيانة وترميم المـدن والمناطق الاثرية ، مثل آثار ومستوطنات وهياكل وادي كانماندو بنيبال ، ومدينة تونس ، وقصبة الجزائر، وفاس بالمغرب ، ولاهور ببباكستان،

التتمة على الصفحة ٧٣

(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .
(٦) الهلال مايو ١٩٦٨ .
(٧) صبري جريس : العرب في اسرائيل .
(٨) ربحي كمال : العرب في الارض المحتلة .
(٩) المصدر السابق .
(١٠) هاعولام هازيه ٥ ـ ٤ ـ ١٩٦٧ .
(١١) رسالة اليونسكو العدد ١٦٣ .

القصائد

احمد دحبور

اعتدنا ، في السنوات الاخيرة ، ان نتحدث عن ازمة في شعرنا الحديث ، حتى ليمكن القول : ان ثمة اجماعا على الاقرار بازمة ما ، ولكن ما ان يبدأ احدنا بتحديد هذه الازمة ، حتى تبرز الاختلافات والخلافات ، وتلوح التناقضات حول فهم الشعر ووظيفته ، وبالتالي ، أزمته .. وما يعنيني من المسألة هنا ، ان مجرد الحديث عن ازمة هو بالضرورة توق الى التجاوز والتغيير بما يوازي الاحداث والتحولات المتسارعة على خريطتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذا لا يعني بالطبع ، اننا نفتقد العمل الابداعي الذي يصدر عن هذه الاحداث والتحولات ، ولكننا نشعر جميعا بضرورة اتساع هذا العمل الابداعي وتطابقه مع رؤيا كل منا ، وهنا تبدأ التناقضات .. فاذا تمحورت رؤيانا حول الثورة بما تعنيه من فكر جدلي علمي وما تمليه من ممارسة ثورية ، امكن تحديد صيغة ثورية لفهم الشعر ، ووظيفته ، وادواته ، وستكون هذه الصيغة ، بالضرورة ، حيوية بحيث تتسع لافتراحات اشكال وتراكيب متعددة للقصيدة حتى لا تنحصر في حذاء صيني قبلي ، وستكون هذه الاشكال والتراكيب مطالبة بصبوة سياسية تعبر عن الفكر الطليعي المتقدم دون اي مساومة على المستوى الفني ، ومن خلال مطالبتنا ـ كمثقفين ثوريين ، او معنيين بالثورة على الاقل ـ بصيغة كهذه ، نحدد الازمة التي يعاني منها شعرنا الحديث ، اذ بحجم ابتعاده او اقترابه من صيغة كهذه يمكن للازمة ان تكون حادة او محدودة ..

والان ، الى قصائد العدد الماضي ..

الشعر والرماد :

مغتبط هو الشاعر صلاح عبدالصبور بعودة شعره « التائه في نثر الايام المتشابهة المعنى » ولهذا تتسابق الاسئلة (المتعاقدة مع الاجوبة سلفا) على نفسه : ماذا ردك لي يا شعري ؟ وعلى اي جناح عدت ؟ ولماذا .. هل ؟ أم ؟ ..الخ.. والاجوبة المتضمنة في الاسئلة واضحة ، فالشاعر في مانيلا « في عرس الموسيقى والشعر » .. وللشعر ان يحتفل بعرسه ، لكن هواجس الشاعر تنغص هذه الغبطة :

وانا اسأل ثانية يا شعري العائد
أين ستمضي رحلتنا في هذي الايام الحلوه
فانا اعلم ان الخمر تقود الى النشوه
وأنا أعلم ان الشعر يقود الى الصبوه
لكن الايام تدق الاجراس

ومع رنين الاجراس يلم الشاعر حقائب سفره ليغادر مانيلا ، سوف يعود الى بلده ليتحدث عما علمته اياه هذه المدينة ، فقد اعطته « ان الجسم البشري ـ لم يخلق الا كي يعلن معجزته ـ في ايقاع الرقص الفرحان » وهو درس « عرفته روحي بعد فوات الازمان » ..

القصيدة ، اذن ، زفرة تطلع الى مدينة فاضلة (وليست خيالية او مستحيلة بالطبع) يتمكن فيها الانسان من تحقيق معجزته بالفرح والاحتفاء بالجسد والابداع ، لان هذه المدينة « الفاضلة » هي التي تفجر الشعر والغناء والرقص والابداع .. اما مدينتنا الراهنة ففيها :

انعقد الغم بضلالات الحكمة والحزن
وارخى ستر القلق الكابي في نافذة العينين
فتصلب جسمي في تابوت العادة والخوف
بعد ان احترقت او كادت بهجة عمري

لكن الا يرى الشاعر معنا ان عالما كهذا من شأنه ان يتسع للحزن ، خميرة الغضب ، وللياس من السكون والرتابة ، وبالتالي للثورة ؟ ان عالم المثقف البرجوازي الصغير عالم اشكالي فعلا ، ولكنه بمجرد انحيازه الى صانعي المدينة الفاضلة غير المستحيلة يحل اولى عقد هذا الاشكال .. فهل يفعل الشاعر ؟ ذلك ما تطمح ان تجيب عنه قصائده القادمة ..

بقي ان نشير الى بنية هذه القصيدة .. انها بسيطة ذات صوت واحد ، وهذا مشروع ومفهوم ما دامت تحمل خاطرة تأملية ، لكن التأمل وحده لا يخلق جوا شعريا ، لهذا يستعين الشاعر بالصفات المتلاحقة في محاولة لاضفاء جو خاص : « صوتي الشارد ، ظلي الضائع ، شعري التائه ، القلق الكابي ، الرقص الفرحان .. الخ » او يستعمل ادوات تشبيه مباشرة « كما تنحل الموجة ، كما تذوي قطرات » ، كما ان طبيعة الخاطرة تخضع احيانا لاستطرادات غير ضرورية ، فحين يقول مثلا « وانا اسأل نفسي » يتحدث عن « حاله » خلال السؤال طيلة ستة اسطر شعرية ، ولا يجد ـ حتى بتمكن من متابعة فكرته ـ الا ان يكرر ما بدأ به ، فيقول من جديد « وانا اسأل نفسي » ، ولعل ما اوقع شاعرا متمكنا ومهما مثل عبدالصبور في هذه الاستطرادات ، ميله الى السهولة ، على الاقل في هذه القصيدة ، هذا الميل الذي لم يجعله يفطن الى اضطراب الوزن احيانا :

قد يسألني احدهم ان افتح قلبي ، اعرض لهم ، تذكاراتي من مانيلا

لا شك ان السهولة هي المسؤولة عن اضطراب كهذا ، والشعر ـ كما تعلم جيلي من جمل الاستاذ صلاح عبدالصبور ـ عدو السهولة .. والتساهل .

منزل المسرات :

تزهر اشجار الكافور
عصافير
وتزهر اشجار الكافور
روائح مشتبهات
اذ يختلط الشارع والامسية الرطبة والاشجار

هذا بعض من عالم الشاعر سعدي يوسف ، وهو عالم يقطر شعرا وفرادة ، حيث تندغم الحواس بالمحسوسات ، ويختلط الديكور بالشخصيات ، وتنبثق الحركة من الاشياء بأقل عدد من الافعال ..

الاشجار شاهدة على ما يحدث : السيارات والجنس والموت ، والاشجار تشهد وتتدخل : « تندس مع الليل الثابت ـ والاوراق المالية » .. والمنزل ، العالم المحيط الراهن ، مملوء بسادة منتصف الليل والوحشة والغدارات وازهار الدفلى المستلبة ..

هذا الصقيع الذي تخلفه قصيدة سعدي يوسف ، لم يكن بحاجة الى مقطع من كلكامش لتوضيحه كما فعل الشاعر ، وهو في الوقت نفسه ليس صقيعا « مثقفا » مجردا ، ان علاقته بالارض واضحة : السيارات وثوب الفتاة المنتزع والصفقات وغدارات الليل ، والشاعر لا يبحث عن علاقة بين هذه الاشياء ، بل يترك لهذه العلاقة ان تتكشف تلقائيا بعد ان يستحضر عناصرها :

تأتي السيارات
وتمضي
تأتي الفتيات
وتمضي
يأتي الليل

هذه القدرة المدهشة على اشاعة الشعر بأقل عدد من المفردات ، لا يحملها الا شاعر مليء بالعالم والوعي والشفافية مثل سعدي يوسف :

لبلة المسافر :

ازعم ان هذه القصيدة ، صالحة كنموذج عن التقليدية الجديدة اذ على الرغم من ان الشاعر محسن اطيمش ، شاب جاد في مسألة الشعر ، وله قصائد جميلة تعلن عن خصوصية وصوت نقي ، الا انه هنا يقدم لنا ما يمكن أن يقدمه عدد كبير جدا من الشعراء دون ان نعرف صاحب القصيدة :

التتمة على الصفحة ٧٥

د . سعيد حامد النساج

ليس علميا ولا موضوعيا بحال من الاحوال ، ان نحكم على الكاتب من خلال قصة قصيرة واحدة ينشرها هنا او هنالك . وليس عدلا ايضا ان نفاضل بين كاتب واخر على اساس عمل واحد عرف طريقه الى النشر للظرف او لاخر ، دون غيره من بقية انتاجه الفني . اذ تكون النتيجة ظلما للكاتب الذي قوم على اساس جزئي جانبي ، وظلما للقارىء الذي قد يصادف من بعد انتاجا جيدا او مخفقا لهذا الكاتب نفسه ، فيحار من اي الزوايا يحكم عليه ؟ وبأي المقاييس يقيس فنه؟ فتضطرب القيم لديه ، وربما يفقد الثقة في نقاده . وهذا هو الظلم الذي يكون من نصيب الناقد قبل هذا وذاك ! وايا ما كان الامر ، فان هذه الكلمات ليست الا « قراءة » اولا وقبل كل شيء ، تعبر عن رؤية صاحبها لفن القصة القصيرة ، وعن وعيه بمدى اتصال هذه القصص « المقروءة » بذلك الفن ، وعن ادراكه لقيمة الاثر الذي تتركه كل منها في نفسيته كقارىء من ناحية ، وقيمتها بالنسبة لفن القصة القصيرة من ناحية اخرى ، وتعبيرها عن وعي اصحابها بالواقع من ناحية ثالثة !

فقد قدم لنا العدد الماضي (العدد الثالث ـ اذار ١٩٧٥) قصصا لكل من (١) « محمد علي شمس الدين » (البحث عن خالد)، (٢) «يوسف صالح يوسف » (الطائر المفقود) ، (٣) « امجد توفيق » (لحن جديد لاغنية قديمة) ، (٤) « محمود الريماوي » (الجرح الشمالي).

ولئن دلت هذه القصص في مجموعها عن وعي كتابها السياسي والفكري والاجتماعي ، فانها تتفاوت في درجة هذا الوعي ، وفي القدرة على بلورته وتصويره والتعبير عنه ، وهي كذلك تشترك في كون كل منها تستهدف شيئا ما تريد ان تقوله ، او يريد الكاتب ان يبثه خلالها . لكنها ايضا تختلف في مستوى ايصالها هذا الذي تريد ان تقول ، وتتباين في وسيلة نقله والتعبير عنه ، والادوات التي تستخدمها في كل ذلك . الادوات الفنية التي لا تستخدم الا في اطار هذا الفن بعينه من غير شك !

ففي قصة (البحث عن خالد) نواجه بقصاص يتوسل في عمله القصصي بكل مقومات القصيدة الشعرية الفنية . اذ يستعيد ادوات الفن الشعري ويسخرها ويطوعها لخدمة فنه القصصي : تكثيفا ، وتركيزا ، وصورا ، ولغة ، والفاظا ، وميلا الى التعمق في اللاشعور حينا ، ثم انعطافا نحو الغموض حينا اخر . ومع انه استعار هذه الادوات الخاصة بفن ، ونقلها الى فن اخر ، فانا نشهد ـ في النهاية ـ بثبات الشاعر القصاص ، وقدرته على ان تحتفظ القصة لديه بالوحدة الفنية الخاصة بهذا اللون الفني دون سواه ، كما نسلم بمحاولته احداث شيء من التوازن بين ادواته الفنية . تظهر لنا ذلك تلك الصورة المكثفة جدا ، والتي تجسد لنا حالة الرعب والفزع التي يعيشها ابناء فلسطين في الجنوب اللبناني على وجه الخصوص ، وهم مهددون دائما ابدا بالقذائف والغارات والنيران المتلاحقة التي تدمر كل شيء، والتي تجعل « الكل » يستشعر الرعب والقلق واللاامن وسط هذه الحياة المضطربة ،وهذا العالم المفتت الممزق . بل تجعل « الكل » ـ في غير استقرار ـ يبحث باستمرار عن بقية اجزائه ، كمحاولة للتكتل، او لاثبات الوجود الفعلي لا المتخيل .

وفي اثناء الدمار ، ووسط الخرائب ، وعلى صوت ازيز الطائرات المخيف ، ومن بين الاشلاء البشرية المغروسة في الارض ، تبحث ام عن ابنها « خالد » في حين ان الناس يؤكدون لها انه نائم في داره ، بينما هي مذعورة بلا بكاء ، ملهوفة بعصبية ، تخلق لنفسها « خالد » من الاشلاء المبعثرة : الرأس ، والاطراف ، والجسد . ثمة من يبحث عن وسيلة لجمع الاشلاء المتفرقة من اجل توحيدها . وثمة من يفقده هذا الواقع الممزق عقله . لكن الحقيقة الموجودة والثابتة ـ التي تبدو للبعض غير واضحة ـ هي هذا الهدف الذي يسعى المناضلون من اجله وفي سبيله . تلك التي يتصور البعض ايضا ـ في اوقات رعبهم ـ انها من الممكن ان تتفتت .

ولا نستطيع الادعاء بأن الكاتب هنا غير واع فكريا وسياسيا واجتماعيا ، لكنه بالتأكيد غلف هدفه وصاغه بشكل فني . فقد تمكن بحذق من ان يوفر شيئا من الانسجام بين الشكل الذي اختاره ،وبين المضمون الذي أراد ان يعبر عنه ، في شبه هارموني ، مع الابتعاد كلية عما كان يغري ـ في مثل هذه الموضوعات ـ من الاستغراق في صورة الحدوتة او الحكاية بشكلهما التقليدي المعروف . فاقترب بشدة من البناء الشعري للقصيدة ، وان جاء هذا الشكل ـ عند شمس الدين ـ اقرب الى كابوس كافكا ومحاكمته في القضية المعروفة . ولم يقف الانسجام عند ذلك فحسب ،وانما تعداه الى احكام الترابط الذي كاد ان يكون عضويا بين البيئة المكانية ـ التي خلقها لتكون اساسا في صورته القصصية ـ بكل ما توحي به هذه البيئة من دلالات واشعاعات، وبين الموقف في حد ذاته ، المادي والنفسي والفكري . وقد حاول بايجاز دون تفصيل ان يربط ربطا جيدا بين كل هذه العناصر . مستعينا بلغة مدببة مهذبة . لغة شعرية تحمل في اعطافها كل ما تحمله اللغة الشاعرة من ايحاءات ، هو يقصدها ويعنيها دون غيرها ، ليضفي على المناخ العام تلك الرائحة : رائحة الدم .التشريد. الضياع . التمزق . الفناء . الحرب . فقدان الثقة بالواقع . البحث عن الذات بين خرائب ذوات الاخرين .

وليس هناك ما يدعو الى ان تحمل القصة اكثر مما تحتمل ،او ان نبحث لها عن مضامين اخرى ، ومعاني جديدة ، قد يكشف عنها الرمز او لا يشير اليها ،فندعي مثلا ان ايزيس تلم اشلاء اوزيريس ، او ان هذه الام المذعورة هي بذاتها القضية الفلسطينية التي تسعى جاهدة لتجميع كل الفصائل المقاتلة من اجل ان توحد بين صفوفها او ما شابه ذلك مما قد لا تحتمله القصة ذاتها . اذ الاهم ـ في اعتقادي ـ ان القصة قصيدة فنية جيدة : بصورها ، ولون الحركة فيها، وتركيبتها البنائية ، وتركيزها المضغوط ، والاحكام الدقيق بين عناصرها ، وهو ما يدل اخيرا على وعي الكاتب بفنه ، وقدرته على السيطرة على ادواته .

وتتفق قصة (لحن جديد لاغنية قديمة) لامجد توفيق ، في احكام الشكل وجودة الصياغة الفنية ، مع « البحث عن خالد » وان اتسمت بالبساطة ، وابتعدت عن الغموض ، واختارت لغتها بمهارة فنية لا جنوح فيها نحو التعقيد ، ولا اسراف في الايهام . ومع ذلك فان هذا لا يعني ان تلك الوسائل دفعت بالكاتب الى المباشرة او الخطابية . فقد ابتعد عنهما ابتعادا كليا . مما ينبغي معه الاشارة الى حس الكاتب ودرجة نضجه في الاختيار الدال على يقظة وفطنة، اولا ، بالموضوعات المطروقة والمستهلكة ، وثانيا : بالشخصيات التي تغري الكاتب وتخدعه من حيث توهم اقبال القراء عليها ، وشغفهم بها. فقد انتقى امجد توفيق قطاعا من حياتنا قلما يلتفت اليه الكاتب . مرحلة من مراحل العمر هامة : لها مشاكلها ، وتناقضاتها ،وتطلعاتها ، وخلفياتها ، وطبيعتها الخاصة ، وتفاهاتها ايضا . الاهم ، ان لها تفردها وخصوصيتها ، ولها فضلا عن ذلك كينونتها ووجودها المستقل . ولو ان المهتمين بالسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون حاولوا الالتفات والانعطاف قليلا نحو هذه المرحلة وذلك القطاع ، لوجدوا الكثير مما يمكن ان يقدم ويصور ويناقش . بدلا من ذلك، الانكباب المسف حول مرحلة يتيمة هي مرحلة الشباب بما يدور فيها

ملك عبد العزيز

مصباح ديوجين

ما الذي يحزننا ؟... أنا عرفنا ؟...
ونغني الحزن في اشعارنا ... » (١)
قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا الصور المكرورة الشوهاء تغشى دربنا
صور منخوبة عوراء تخفي داءها
خلف أسمال القناعات الموشاة الكذوبة .
قد سئمنا ، قد سئمنا زيفها
وسئمنا تعريات الاقنعة
اين مصباحك يا دوجين في قلب الظهيره
مرت الاجيال لم تعثر بشيء .
من ضباب الحلم موّهنا التماثيل العجيبة
ونقشنا من نقاء القلب الوان الصور
وغفرنا بحنان الحب آلاف الخطايا
وتجاوزنا ـ مضحين ـ صغارات البشر
غير ان الطين لم يصبح مرايا
والحضيض السّفل لم يصبح قمر .

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا المعرفة :
مضحك السيرك تزيا بثياب الملكات
والثعابين تزيت بالدرر
مات سقراط اسيرا سجنه
والسفسطيون عاثوا بالفكر
وازدهى نرسيس في أزيائه
ليس يعنيه سوى الوجه الاغر

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا المعرفة
صار لذع الملح مرا حارقا
قطرت فيه مرارات السنين
وسئمنا طعمه المر الحزين
وسئمنا ضجة السوق ، مزادات الصنوج
لا تلمنا ان صعدنا قمة الصمت ،
وآفاق الثلوج .

القاهـرة

---

(١) من قصيدة « الملح » للشاعرة في ديوانها « قال المساء »

من ظواهر واحداث اغلبها مكرر ومحفوظ . وليس عمر الانسان شبابا كله ، ولا فحولة على طول الخط . والكتاب الذين يلتقطون تلك الشريحة يوهموننا بان المشاكل والقضايا التي يعاني منها من هم في غير سن الشباب ، لا ترقى الى ان تكون موضوعا لفن ، والعكس هو الصحيح بطبيعة الحال ، اذ ان هذه نظرة جزئية قاصرة ، لا تتناول الحياة والواقع الا من زاوية واحدة .

ولن نذكر هنا بما كتبه همنجواي او حنا مينة او غيرهما من الكتاب العرب والاجانب ، فالشخصية عندهم ترتبط غالبا بقضية محددة ومحصورة ، في حين ان امجد توفيق اقتنعت قضية اعم واخطر . الانسان في غير زمانه واوانه .وقع الزمن وانعكاساته . صراع الفرد مع قوة اكبر واعتى ، وما الذي ينجم عن هذا الصراع . او ربما اراد ان يصور لنا احساس الانسان الفرد بضرورة التغلب على واقعه المفروض عليه بحكم عوامل طبيعية او موضوعية لا دخل له فيها ، ثم محاولته الجاهدة في سبيل تغيير هذا الواقع .ورغم ان امكانياته الخاصة لا تؤهله ، فانه لا يتكاسل ولا يتباطأ ، اذ المهم عنده هو ان يتغلب ، او يشعر بان في قدرته ما يدفعه الى التغلب على الواقع ،عن طريق مواجهته له ، وتحديه اياه ، بشكل ايجابي حاسم وحاد .

وقد كان الجد العجوز في هذه القصة هو الانسان في غير زمانه، او الفرد في مواجهة القوى الاشد فتكا ، لكنه لا يسلم بذلك ولا يعترف ، حتى تكون النتيجة في غير صالحه .

وقارىء هذه القصة يشعر بان الكاتب عزف له لحنا هادئا خفيفا لا نشاز بين نغماته ، ولا ضجيج للاصوات التي ترسلها اوتاره التي يضرب عليها بخفة ورشاقة . لكنا نلاحظ انه لم يتعمق نفسية الجد بالشكل الذي يجعلنا نشعر به من الداخل ، من الاعماق . لم يساعدنا على ان نستكشف ابعاد صراعه الداخلي والنفسي ، كنتاج لصراعه مع القوى الخارجية ، لتتبين انعكاسات الخارج على الداخل، والبواعث الدفينة التي كمنت وراء حركته الخارجية ، في تحديه وصراعه ،كرد فعل لحوار ديالكتيكي بين الداخل والخارج، او بين مكونات الداخل وجزئياته بعضها والبعض .

ومسالة الانتهاء بالجد في صراعه الى الانهزام ، وان بدت منطقية بمنظار الحكم السطحي والسريع ، فانها غير معقولة ولا تقبل التصديق، بل وكانها وقوف متعمد مع سبق الاصرار والترصد في صف القوى الهازمة الخارقة للعادة . او القوى غير المنظورة . في حين يكون انتصار الجد انتصارا للجانب الايجابي في الانسان ، وتمجيدا لبقايا روح النضال والمقاومة والتحدي الكامنة في اعماقه والتي تظهر عند الضرورة ، وهذا ـ فيما اتصور ـ هو القطاع الحيوي الذي يلزم التاكيد عليه ، وتجسيده ، وبلورته .

واذا كانت قصة « البحث عن خالد » مغلفة الهدف ، مضغوطة، ومدببة ، واذا كانت قصة « لحن جديد لاغنية قديمة » لا تفصح عن

التتمة على الصفحة ٧٥

قرأت العدد الماضي من الاداب

الابحـــاث

تابع المنشور على الصفحة ٧

وباهيـــا بالبرازيل ، وسان سلفادور ، وكوزكو ببيـــرو ، واندياس بكولومبيا ، وجواندار بأثيوبيا ، وغيرها .. وكانت آخر العمليـــات التي قامت بها اليونسكو ، انقاذ معابد فيلة التي تكلفت حوالي خمسة عشر مليون دولار ، منها ثمانية ملايين تم جمعهـــا عن طريق تبرعـات قدمتها اليونسكو أو تلقتها لحساب الحملة الدولية لانقـاذ المعابد .. ومن هنا ، فان مطالبة اليونسكو بضرورة الحفاظ على المناطق الاثرية في القدس القديمـــة ، ثم اصدار القرارات التـي تلزم المؤسســـة الصهيونيه بتنفيذ توصياتهـا ليست « تسييســا » للمنظمـة الدولية ، بقدر ما هي تأكيد على وجوب الحفاظ على ذلـك التراث قبل ان يتهدده الضياع والاندثار . ولعلي أستعين في تأكيد ذلك ، بمـا أشار اليـه الاستاذ الحاج نفسه ، من ان الامبريالية كانت هي الاحرص دوما على أن تقحم السياسة في نشاط اليونسكو ، وتحاول تسخيـر البرامج الثقافية والتربوية لاهدافها السياسية . بل لقد كانت الامبريالية وراء ابعاد الصين الشعبية والمانيا الديمقراطية وكوريا الديمقراطية والعديد من حركات التحرر الافريقية عن عضوية المنظمة ، برغم أن المنظمـة تضم الى عضويتها بعض الدول التي لا تزيد عن منابر اضافية، عميلة، للامبريالية الغربية ..

كذلك ، فانه من الملاحظ ان قرارات اليونسكو في دورته الثامنة عشرة ، لم تقتصر على حجب المساعدات عن الكيـان الصهيوني الى حين امتثاله لقرارات المنظمة الدولية .. وانمـا قد صدرت قرارات أخرى ، ذات صبغة سياسية خالصة ، تتصل بمكافحة الاستعمـار بقدر مـا هي تأكيد على وجوب الحفاظ على ذلك التراث قبل ان يتهدده العسكري في شيلـي ، والاحتفال بالذكرى الثمانين للانتصار علـى الفاشية في الحرب العالمية الثانية الخ .. والغريب انـه لم تحـدث ردود افعال بالنسبة لكل تلك القرارات ، بينما اقتصرت الحملة العنيفة الهوجاء ضد حرص المنظمة الدولية على التراث الديني والوطني فـي القدس القديمة ، برغم أن قرار اليونسكو بمنع الدعم عن اسرائيل ، لم يكن على اطلاقه ، ولكنه ربط ذلك بموافقة اسرائيل على « ان تحترم القرارات المشار اليها آنفا . وأيضا ، فلعله ينبغي التأكيـد على ان قرارات اليونسكو ـ برغم كل الضجة التي أثيرت حولها ، والنتائج الخطيرة التـي يبدو انها تنتهي اليها ـ ليست مساوية للانتهاكات التي احدثتها ـ ولا تزال ـ المؤسسة الصهيونية، في الاماكن الدينية والاثرية بمدينة القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، ذلك لان اسرائيل ـ على سبيل المثال ـ لم تستبعد من اليونسكو . وليس في القرارات التي اتخذت ما يؤثر في استمرار عضوية اسرائيل في المنظمة الدولية . بل انه يمكنها الاسهام في جميع الانشطة كما كانت قبلا . أما بالنسبة لعدم تلبية طلبها بان يدرج اسمها ضمن المجموعة الاوروبية الاقليميـة التابعة لليونسكو ، فان ذلك لم يحل بينها وبين المشاركة ـ كمراقب ـ في المؤتمرات الاوروبية الاقليمية وغيرها مثلما كانت قبلا . وحتى قرار منع المعونة عن اسرائيل في مجالات التعليم والثقافة الى ان تحترم بدقة قرارات المؤتمر السابقة فيما يتعلق بالمباني الاثرية ، والحفاظ علـى الطابع التاريخي لمدينة القدس ، فانه يرتبط ـ كمـا هـو واضح ـ باحترام اسرائيل لقرارات المؤتمر ، مع ملاحظة ان جملة المساعدات التي تلقتها اسرائيل طبقا لبرنامج المعونة في ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ يصل الى ٢٤٠٠٠ دولار . اما المساعدة المحتملة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فلقد كان القرار جزءا من قرارات أوسع لضم حركات التحرير الافريقيـة التي اعترفت بها منظمـة الوحدة الافريقيـة ، ومنظمـة التحريـر الفلسطينية التي اعترفت بها جامعة الدول العربية . وأمـا القرار الاضافي الذي دعا فيه المؤتمر العام مدير المنظمة لممارسـة الاشراف الكامل على عمل المؤسسات التعليمية والثقافيـة بالاراضي المحتلـة ، والتعاون مع الدول العربية المعنية ، ومنظمـة تحريـر فلسطين ، بهدف تزويد السكان في الارض المحتلة بكل وسائل التمتـع بحقوقهـم في التعليم والثقافة ، فان الهيئات الرسميـة الصهيونية قـد اعترفت ـ كما أشرنا قبلا ـ الى تردي المستوى الثقافي والتعليمي بين المواطنين العرب في الارض المحتلة ، ومن ثم فان تكليف المنظمة لمديرها العام بان يتولى مسئولياته في هذا السبيل ، انما هو مباشرة لاوجب مـا ينهض به اليونسكو من مسئوليات .

* * *

ان مخالفة اسرائيل للقرارات المتعلقة بالقدس قد حالت ـ كمـا تناول ذلك الدكتور أحمد فتحي سرور في بحثه ـ دون اداء المنظمـة للرسالة التي يعهد بها اليها ميثاقها التأسيسي .ولان الاساس القانوني للجزاء الدولـي انه تدبيـر قسري يهدف الى تأكيـد تطبيـق القاعـدة القانونية الدولية التي خولفت ، فقـد أصبح من حق اليونسكـو ـ وواجبها ـ ان تفرض جزاء على اسرائيل ، الى آن تحترم قرارات المنظمة التي انضمت اليها ، باختيارها ، وتعهدت ـ سلفـا ـ بان تحترم قراراتها ونوصياتها وكل ما يصدر عنها . واذا كان قرار فرض الجزاء على اسرائيل أول قرار ايجابي تتخذه واحدة من منظمات الامم المتحدة ضد الدول التي ترفض الانصياع لقرارات ونوصيات المنظمات التي تنضم اليها ، فقد تأكد في اكثر من مناسبة ، وفي اكثر من منظمة، مثل استبعاد منظمة الاغذية والزراعة في ١٩٦٣ جنوب افريقيا بسبب سياستها التوسعية ، وقرار منظمة الصحة العالمية في ١٩٦٤ بوقف حق جنوب افريقيا في التصويت ، وطرد وفد جنوب افريقيا من مؤتمر اتحاد البريد العالمي في طوكيو عام ١٩٦٩ الخ ..

وعلى الرغم من كل هذه الحقائق التي تضع قرارات اليونسكو في اطارهـا الموضوعي ، وانها لم تخرج عن حدود ممارستها لواجبها في الحفاظ على التراث الحضاري والانساني ، وحقها في فرض اجراءات على الدولة العضو التي تخالف ما تتخذه من قرارات وتوصيات .. فان السعار الاعلامي الصهيوني قد حاول تشويه الصورة من خـلال اجهزته ، ومن خلال التأثير في اراء ومواقف الدول ـ ومن بينها للاسف دول تنتمي الى القارة الافريقية ـ واراء ومواقف عدد من الادباء والعلماء والمفكرين ، ومن بينهم ـ للاسف ايضا ـ اسماء ذات سمعه عالميـة متفوقة . ويورد الاستاذ رفيق سعيد في مقالته عن « تلـك الصحافـة الفرنسية المغرضة » رسالة من رينيه كاسان الى رينيه ماهو المديـر السابق لليونسكو ، يقول فيها : « اليس يخشى في اللحظات الاخيرة من عهدك اللامع ، أن تصبح اليونسكو ضحية الفكر المناصر لاولئك الذين يريدون تحويل المنظمة العالمية الى آلة حرب سياسية بحصولها على طرد احد اعضائها وهي اسرائيل ، وارثة التقاليد السحيقة التي اسهمت في تنوير العالـم فاطبة » (١٢) .

* * *

والحق اننا لسنا على معرفة يقينية بعد مما اذا كانت الـدول العربية قد عوضت اليونسكـو عن الاضرار التي لحقت بها فـي الاصرار على موقفها من ادانة العدوان الصهيوني .. ولكن اخـر القرارات التي اتخذتها المنظمة قد تعطي انطباعا بان الدعم لم يجاوز الاريحية الكلامية العربية مثلمـا حدث في افريقيا ، بل وفي المنطقـة العربية ذاتها .. او قد تعطي انطباعا اخر ـ اسرافا في حسن الظـن ـ ان الحق العربي قد خفت صوته ـ بتأثير السعار الاعلامي الصهيوني ـ الى حد تمييع الحقائق ، وافراغها من محتواها ..

فماذا يعني ذلك كله ؟.

باختصار ، فان الاعلام العربي يكتفي ـ حتى الان ـ بالتحـرك العقيم في اطار اللغـة العربية ، بمعنى ان معظم نشاطه يتجه الـى الداخل ، الى المواطـن العربي ، صاحب القضية ، المتضرر الاول من سلبياتها ، والمستفيد الاول من ايجابياتها ، والذي يمتلك ـ على مستوى رجل الشارع العادي ـ وعيا بقضاياه ، ربمـا لا يمتلكه الكثيرون من المتصدين للعمل السياسي ، بينمـا الاعلام الخارجي يعاني من هزال شديد ، وخفوت صوت ، في مواجهة نشاط دائب للاعلام الصهيوني

---

(١٢) الاداب ـ العدد الماضي .

في امتداد قارات العالم الست .

ومع التأكيد على ان « الفكر » ليس البعد الاساسي في القضية الفلسطينية ، وانما القضية نضالية اساسا ، وترتبط بكل ما تحياه المنطقة العربية من مؤامرات امبريالية .. فان التبصير بالحق العربي ـ والفلسطيني بخاصة ـ للرأي العام العالمي ، وبالذات تلك الشعوب التي لا تزال تعاني من نقائص عقدة اضطهاد السامية (والعرب ايضا من اصل سامي) والمذابح الجماعية ، وغرف الغاز التي اودت بحياة خمسة ملايين ونصف مليون يهودي (وهو رقم غير مؤكد ، فضلا عن ان الدمار النازي قد نال بويلاته العالم كله) .. ذلك الدور يجب ان يكون هدفا اساسيا للاعلام العربي فيمواجهة التنظيم الاعلامي الصهيوني فمنذ برنامج العمل ذي البنود الاربعة ، والذي كان محصلة للمؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٧٩٧ ، تأكد دور الاعلام في تحقيق الوطن القومي الصهيوني ، من خلال برامج مخططة ومدروسة.. وعلى سبيل المثال ، فان التلميذ الاوروبي يتلقى ـ لا يزال ـ في دروسه ان « اسرائيل هو البلد الذي شهد تغيرات بسرعة لا مثيل لها في اي جزء من العالم . قرى صغيرة تنمو وتصبح مدنا كبيرة في خلال سنوات معدودة ، مناطق صناعية تقوم على اراض قاحلة ، مراكز صغيرة لصيد الاسماك تتحول الى موانيء هامة ، والارض الخربة تصبح مزارع خضراء» (١٣) . وفي احصائية ان ما يقارب ٩٥ بالمئة من الكتب التي تتناول الشرق الاوسط في مكتبات استوكهلم ، تروج الدعاية الاسرائيلية، وتشرح الفكر الصهيوني (١٤) . ويبدو تأثير الدعاية الصهيونية في قول البروفسور هيربرت نينكستين في كتابه « اسرائيل المهددة » ان اسرائيل هي من الصغر بحيث يمكن القضاء عليها خلال ايام معدودة، وانها مسألة ضمير بالنسبة لنا جميعا ان نحول دون وقوع ذلك » (١٥) . وان تركيز المتعاطفين مع الفكرة الصهيونية في شرح وتفصيل النزعة اللاسامية ، ينفيه تماما ان العرب هم من الساميين، ولكن المضحك ـ والمؤسف ـ ان العرب في صراعهم ضد الكيان الصهيوني، يتهمون ـ احيانا ـ بانهم ضد السامية !. ولعله من التبسيط الشديد لبواعث منح الكاتبين الاسرائيليين صموئيل يوسف اجنون ونيلي ساكس ، جائزة نوبل للاداب انها مجرد الخضوع للتأثير الصهيوني، وانما قد مهد لذلك تفرغ عدد من الكتاب اليهود السويديين للترجمة من اللغة العبرانية ، وبالذات تلك الاعمال التي تناقش قضية«ارض اسرائيل » ، وتقترح بعضها لتنال اكبر جائزة دولية . ولهذا ، فقد كانت حيثيات منح الجائزة عرض اجنون لحياة الشعب اليهودي،واظهار الفولكلور الخاص به ، وتناول ساكس لظروف اليهود في المنفي باساوبها الفني ،« مما جعل انتاجهما مكملا لبعضه ، ويعطي صورة صادقة عن الثقافة الصهيونية . وعلى الرغم من سياسة التمييز العنصري التي تمارسها المؤسسة الصهيونية ، والتي تجاوز الداخل الى اقامة علاقات وثيقة مع الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ، فان احد الكتاب الاسرائيليين (يشوع راش) يصف « الشعبين » اليهودي والافريقي ،بانهما « الضحيتان المختلفتان من ضحايا التمييز العنصري». ويضيف اشكول الى ذلك قوله : « ان الدول الافريقية واسرائيل كافحت معا ضد التمييز العنصري والتعصب الديني » ! (١٦) . واذا كانت المؤسسة الصهيونية تعاني من مأزق قطع العلاقات في غالبية الدول الافريقية ، فلعله يجدر بنا ـ مصارحة ـ ان ننبه الى الفوقية التي تمت من خلالها اجراءات قطع العلاقات . اما على مستوى الهيئات والافراد ، فلا يزال الاعلام الصهيوني يستخدم كل الاسلحة التي يملكها، فضلا عن بعض الاسلحة التي يحصل عليها من « الاعداء » مثل استغلال ظاهرة ارتفاع اسعار النفط ، وتأثيرها على اقتصاديات الدول الافريقية ، والنامية عموما ، والاهمال المتعمد لربطها بارتفاع اسعار المواد الخام في العالم ، وبيع بعض الحكومات العربية (الاردن) طائرات مقاتلة الى حكومة جنوب افريقيا ، وعجز صندوق الدعم العربي لافريقيا ـ بامكانياته الضئيلة ـ عن تقديم المساعدات الفعالة لدول القارة .

وكما قلنا ، فان الاعلام الصهيوني لا ينطلق من فراغ ، او اجتهادات فردية ، ربما تغلب عليها النية الحسنة ، لكنها قد لا تفضي ـ بالضرورة ـ الى الهدف المأمول . فثمة تخطيط علمي مدروس للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في كل بلد يتجه اليه الاعلام الاسرائيلي ، بدءا بالمشكلات الصغيرة التي تشغل البسطاء من ابنائه ، الى الهموم السياسية والثقافية التي تشغل خاصته المثقفة ،الى جانب دراسات اخرى تعنى بتحليل العلاقات القائمة بين ذلك البلد وبين الدول العربية ، واوجه الاتفاق او الاختلاف في تلك العلاقات . وارتكازا الى ذلك التخطيط ، يحدد الاعلام الصهيوني قدراته وامكانياته والوسائل المتاحة ، واشد الاراضي صلاحيه لغرس بذور الدعاوي والافكار الصهيونية .

* * *

وابادر ، فاؤكد ان الهدف ليس اهمال الاعلام الداخلي .. ولكن المطلوب الا يتم ذلك على حساب الاعلام الخارجي ، بمعنى ان « تأكيد » الحق لاصحاب القضية من ابناء الشعب العربي ، يجب ان يصرفنا عن توعية الرأي العام العالمي بطبيعة ذلك « الحق » وتخليصه من التشوهات والشوائب والافراد من المحسوبين على شعبنا العربي في احيان اخرى. واذا كان الاسف ـ وحده ـ هو ما استطاع احمد مختار امبو ، المدير العام لليونسكو ، ان يعبر عنه مقابلا لتلك الشخصيات التي اعتمدت على معلومات اقل ما يقال فيها انها ناقصة ، وغالبا مشوهة ، في حين ان صفتهم كمثقفين كان ينبغي ان تحملهم بالاحرى الى الحوار » (١٧) فان الاعلام العربي ـ بالقطع ـ يملك ما هو اكثر ايجابية من مجرد ابداء الاسف . انه يملك الحق وامكانية الدفاع عنه، لو اراد . اما الاكتفاء بالقول « ان اسرائيل موجودة في كل مكان ، وتعمل لنفسها ضد حقوق الشعب العربي الفلسطيني وعلى حسابه في كل مكان » (١٨) فهو عجز واضح عن مواجهة حقائق عالمنا المعاصر ، الذي يشكل الرأي العام فيه قوة غالبة ، يصعب التقليل من قيمتها ، او التهوين من شأنها . والمثل الذي يحضرني ، نضال الشعب الفيتنامي الذي وجد مناصرين له في الولايات المتحدة ذاتها ..

واذكر ان الاستاذ سامي هنداوي قد اصدر كتيبا في سلسلة « ابحاث فلسطينية » ،حاول به ان يلخص تجربة سنوات عشر في الحقل الاعلامي في الولايات المتحدة وكندا ، وان يقدم افضل الوسائل لاقامة اجهزة متكاملة على المستويين العربي والعالمي، بما يكفل تلبية حاجات الناس وفقا لطبائعهم وميزاتهم . وارتكازا الى بديهية ان ما يلائم بلدا ، ربما لا يلائم بلدا اخر . ولقد كانت المقترحات التي اوردها هنداوي اقرب الى الخطوط العريضة التي تمهد لدراسة اوسع ، ولكنها كانت خطوة جادة ورائدة في هذه الطريق التي يجب ان تكون موازية لطريق النضال ، كسبا للمزيد من الاصدقاء والانصار .

اخيرا ، فلعلي مطالب باعتذار للاستاذين ادوارد الخراط وصبري حافظ ، لاقتصار الحديث ـ ولا اقول القراءة ـ على ملف اليونسكو والقدس . ولكن الملف كان مناسبة ـ واعترف ـ لتناول المأزق الحضاري الذي تحياه المنطقة العربية ، والذي يمثل الصراع العربي الاسرائيلي بعض ملامحه (مثلا ، ماذا ستكون صورة المستقبل عندما ينضب النفط في اقصى المدة التي حددها الخبراء ، وهي ثلاثون عاما ؟) والذي يحتاج الى جهد اعلامي مكثف ، على كل المستويات ، لكسب الاصدقاء والانصار من خلال وضع « الصورة » ـ دوما ـ في اطارها الصحيح ، المطلوب .

القاهرة

---

(١٣) سمير بوتاني : الدول الاسكندنافية واسرائيل .
(١٤) المصدر السابق .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) د . منذر عنتباوي : اضواء على الاعلام الاسرائيلي
(١٧) الاداب ـ العدد الماضي .
(١٨) الدول الاسكندنافية واسرائيل .

القصائـــد

تابع المنشور على الصفحة ٨

يتقدم ، كانت خطاه
سلما في الرمـال الغريبـة
تملأ الريح كفيه ، تنشر اشرعة حوله
انها ظلمة والمدى لا يبين .. الخ .

وحتى لا يكون التباس ، اقول ان الشاعر لا يقلد شاعرا محددا، ولكن القصيدة ذات طابع نمطي : بلغتها ، سواء من حيث المفردات او التركيب ، باختيار هذا الايقاع الدارج ،بالانتقال « النموذجي » من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم ، بهواجسها العامة التي تفضي الى تفاؤل غامض ، والمقطع الاخير الذي كان يمكن له ان يحمل صوت الشاعر الشخصي اتى مسرعا بحيث لم يعطنا فرصة لاقتناص ملامح الشاعر ..

وربما يحق لمن قرأ بعض الشعر الجميل والغني فعلا للشاعر محسن اطيمش ان يسمح لنفسه ببعض القسوة عليه ، ولا سيما عندما يفاجأ بخللين في الوزن عنده :الى البحر مثل السواقي ؟ام اهتدي..الخ

فحتى يستقيم الوزن لا بد من تشديد ياء السواقي وهذا غير ممكن لغويا . وايضا :

ساهر والضفاف ساهرة فاستقري

ولا يستقيم الوزن هنا الا اذا انهى السطر الشعري عند كلمة الضفاف ، ثم وضع « ساهرة » في سطر مستقل ، وهذا ما لم يفعله الشاعر .. ويظل طبعا هناك أحتمال الاغلاط المطبعية ..

لقاء مرتجل في حلم :

في حلمه المرتجل يعقد الشاعر احمد يوسف داود مع حبيبته ، او مثاله ، حوارا يتسع للوجد الشخصي والسياسي ، عبر توتر وحرارة يكسبهما التساؤل والجمل القصيرة المتلاحقة جوا غنيا بالشعر والدلالات :

في الطين ترتسم الاشارات الحميمة :
ـ ها هنا ارتعشت اصابعنا
ـ هنا وعد
ـ هناك تلامس الثغران وافترقا
ـ هناك تعلم القلب البكاء بلا بكاء

والقصيدة ، بعد هذا ، مركبة محمولة على صوتين ، صحيح ان الصوتين غير متناقضين ، وبالتالي فالجدل ليس ذا طبيعة تناحرية، لكنهما متكاملان ، تشكلان بالنتيجة صوتا واحدا متناحرا مع اصوات تفصح عنها القصيدة بذكاء دون ان تطرحها بشكل مباشر ، وتظل القصيدة مفتوحة النهاية ، بحيث لا يخيفنا اليأس العرضي فيها :

واظل فيك مكابدا ..
وتظل تهتز الرمـال بلا اتجاه
والحب آه .. وانت آه .. وكل حلم عنك آه ..

واذا كان لي ان اتحدث عن شيء من لهجة محمود درويش في سياق القصيدة العام ، فاني اعترف بعدم قدرتي على تحديد هذه اللهجة .. لكنها موجودة بشكل ما ، لعلها في الجو السياسي الذي يصدر عنه الشاعران ، لعلها في رشاقة الانتقال من صورة الى اخرى .. لعلها .. ولكن ثمة شيئا اكيدا : ان هذا لا ينتقص من قصيدة جميلة ومركبة كهذه الى الحد الذي ينال من صدقها الفني والسياسي.

في انتظار ليلة القدر :

على الرغم من الخصوصية التي تحاول النهوض بهذه القصيدة ، الا ان الطابع النمطي يوقعها في التقليدية الجديدة ، فالشاعر ينتظر مليكته ، وعده ، ليلة قدره ، وهو يلتمس الخمر والحزن والتوقع لمشاغلة انتظاره ، كذلك يتحمل خلال الانتظار معاناة نموذجية :

أتهاوى ولفني ملح ولم اكتحل بخيال المليكة ،
منذ قرون ولم تأتنا ليلة القدر
أتهاوى ولكني شاخص في الحصار

وهو على الرغم من تصريحه بانه لا مستحيل ، يجد نفسه مغلقا قصيدته بهذه الخاتمة :

ولكنني
يا صديقي سأبكـي

ولعل هموم المثقف البرجوازي الصغير الذي ينتظر انجازا ما (وهي هموم موزعة بدرجات لا يستهان بها على عدد كبير من شعرائنا) تحمل بعض المسؤولية في تشابه الكثير من القصائد الحديثة ..والغريب انه حيث توجد هذه الحالة ،التي اسميها ، التقليدية الجديدة ،توجد بعض الكدمات في الوزن :

غرقت في فيافي العباب
ام ان قافلة من عرائس .. الخ.

فسواء اعتبرنا السطرين متصلين او منفردين ، سنرى في مطلع السطر الثاني خللا الا اذا كان ثمة اشكال من المطبعة .. ولا ادري ما الذي يعجب الشاعر ذو النون الاطرقجي بهذه الوقفات التي لا تحدث خللا في الوزن ولكنها تشكل فرملة مفاجئة تخض الايقاع كما في هذا السطر :

ان في البحر سرا سيبزغ في اخر الليل

فالتفعيلة الاخيرة تنقصها حركة وسكون او حركة على الاقل .. اما اذا اعتبر الشاعر هذا السطر موصولا بما بعده فانه يقع في خلل واضح في الوزن .

بين الفينة والفينة :

يا امرأة من وهج الحنطة من عبق الليمون
كيف أفايض ذكراك بحفنة تمر وبهون
أجمل ما في العمر وأين
اهرب من صورتك المنقوشة فوق بياض العين

اعترف ان ما قرأته للشاعر عبدالكريم السبعاوي قليل جدا ،او لا يكاد يذكر ، لكني في هذه القصيدة وقعت على شاعر يملك قدرة غير قليلة على التعبير الشعري المتوهج ، فهذه اللغة البسيطة ، لكن الشخصية ،وهذه الرشاقة بالصورة ، والتوتر بالايقاع ، لا تصدر الا عن شاعر يعرف ما يريد وكيف يعبر عما يريد .. ويسرني ان امد له يدا متواضعة للصداقة في الشعر .. وما يقوله .

دمشق

القصص

تابع المنشور على الصفحة ١٠

فكرتها ، وتتميز ببساطتها ، والحفاظ على الوحدة الفنية بين عناصرها، فان قصة « الطائر المفقود » ليوسف صالح يوسف ، لا تحار في البحث عما يريد كاتبها ان يعلنه بصراحة . حقيقة انه كاتب ذو موقف . له رؤية اجتماعية وفكرية لا نضل الطريق اليها . ونحن لا نعارض في شيء من هذا ، لكن الاهم هو ان تكون لدى الكاتب القدرة على ان يقول ما يقول بفن ، والا ما اختار شكلا بعينه ، ولونا ادبيا بذاته، يحمل عنه عبء نقل فكرته او رأيه او موقفه . فما يقال في شكل قصته ، لا يقال بنفس الدرجة من الاجادة في صورة قصيدة ، او في ثوب درامي ، او باسلوب خطابي ، ولولا ذلك ما تنوعت الالوان الادبية وتعددت الاشكال الفنية . والاكثر من هذا ضرورة ان يجيد الكاتب الابداع في اللون الادبي الذي يتخذه رئة يتنفس من خلالها .

ونحن وان كنا في مراحل معينة نتجاوز عن بعض هنات تتصل بسيطرة المضمون على الشكل ، او باعلاء صوت الكاتب على صوت اوتاره الفنية التي يضرب عليها ، فانا ـ عندما تضطرب المفاهيم، وتختلط القيم ، وتصبح بعض الحركات والافكار غير ذات معنى ، وعندما يضيع من البعض الطريق ـ يجب ان نعي دورنا جيدا ، وان نحتاط في اختيار الوسيلة التي تساعدنا على اداء هذا الدور ،وان تكون هذه الوسيلة محكمة ودقيقة بحيث لا تسمح بشيء من الخلط او الاضطراب او التردد !

النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

اتحاد الكتاب اللبنانيين

عقدت الهيئة العامة لاتحاد الكتاب اللبنانيين جلستها المقررة في ٥ نيسان بقاعة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (ليس لاتحاد الكتاب مقرّ رسمي حتى الان ..) فاستمعت الى تقرير الهيئة الادارية عن نشاط الاتحاد في العامين الماضيين ، قدمه الامين العام الدكتور سهيل ادريس ، ثم الى التقرير المالي قدمه امين الصندوق الاستاذ احمد ابو سعد . وبعد مناقشة التقريرين والاستماع الى اقتراحات الاعضاء ، جرى انتخاب الهيئة الادارية الجديدة للعامين القادمين ، ففاز بالتزكية السادة : سهيل ادريس ، ميشال سليمان ، خليل حاوي ، ادونيس ، حسين مروة . ميشال عاصي ، حبيب صادق ،احمد ابو سعد ، انطوان ملتقى،احمد سويد ، فؤاد الخشن ،الياس الخوري.

وقد اجتمعت الهيئة الادارية الجديدة وانتخبت مكتبها كما يلي:

الدكتور ميشال سليمان (امينا عاما) فؤاد الخشن (نائبا الامين العام) حبيب صادق (أمينا للسر) احمد ابو سعد (امينا للصندوق).

والجدير بالذكر ان الدكتور سهيل ادريس قد بقي امينا عاما للاتحاد منذ تأسيسه عام ١٩٦٨ ، وان القانون الاساسي للاتحاد ينص على انه لا يعاد انتخاب الامين العام اكثر من دورتين متواليتين .

قضية حبيب صادق

شارك الشاعر المناضل الاستاذ حبيب صادق ، امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين ، في ندوتين فكريتين حول الوضع في جنوب لبنان، فعمد وزير الصحة الذي يتولى الاستاذ صادق في وزارته منصبا اداريا الى « معاقبته » بايقافه عن العمل مدة ١٥ يوما وحسم راتبه لهذه المدة وتأخير تدرجه مدة عام ونقله الى عمل اداري اخر ادنى رتبة من عمله الاصلي ..

ومنذ اكثر من شهر،تقوم في لبنان كله حملة لنصرة الشاعر المناضل استنكارا لهذا التدبير القمعي ومطالبة بالغاء القانون الذي يفرض على الموظف طلب الاذن من وزيره للكتابة او المشاركة في الحياة الثقافية .

وقد نشرت الصحف كثيرا من المقالات المدافعة عن حبيب صادق، والبرقيات الشاجبة لموقف وزير الصحة . وقد تقرر القيام بمسيرة سلمية يشارك فيها المثقفون والصحفيون تأييدا لحبيب صادق واستنكارا للتدابير الغاشمة التي اتخذت بحقه .

وشارك الدكتور سهيل ادريس ، ممثلا لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، في عدة لقاءات ومهرجانات لنصرة هذه القضية وادانة ذلك التصرف القمعي الذي يطعن رأسمال لبنان الاول : الحريات الديموقراطية وعلى رأسها حرية التفكير والتعبير التي يصونها الدستور اللبناني .

جامعة بيروت العربية

تحتفل « جامعة بيروت العربية » هذا العام بانقضاء خمسة عشر عاما على تأسيسها في بيروت . فقد انشأتها جمعية البر والاحسان عام ١٩٦٠ في العاصمة اللبنانية،وهي «مؤسسة لبنانية حرة للتعليم الجامعي» ولكنها ترتبط بجامعة الاسكندرية برابطة أكاديمية .

ولا تزال جامعة بيروت العربية تلعب دورا بارزا في حياة لبنان الثقافية . (١)

وقد كان انشاء الجامعة ضرورة ملحة اقتضتها ظروف المنطقة العربية . فقد رأى القائمون عليها ان هناك قطاعا كبيرا من الشباب العربي تحول ظروفهم الاجتماعية والمادية من متابعة دراساتهم الجامعية كما رأوا ان عددهم يتزايد في الوقت الذي يحتاج الوطن الى اسهامهم العلمي وجهودهم الهادفة . كما راعى المشرفون عليها هدف

(١) تضم الجامعة عدة كليات : الحقوق ، الاداب التي تشمل اللغة العربية وادابها والتاريخ والجغرافيا والدراسات الفلسفية والاجتماعية والدراسات الاسلامية وقسم اللغة الانجليزية ، كما تضم كلية التجارة (محاسبة وادارة اعمال،اقتصاد،علوم سياسية)كما ان هناك قسما للحصول على دبلوم التربية ، ومركزا لتمويل نشر البحوث التي يقوم بها اساتذة الجامعة . وتهيء الجامعة في قسم الدراسات العليا لنيل دبلوم الدراسات العربية والاسلامية بكلية الاداب وتؤهل لمتابعة الماجستير والدكتوراة .

وتعمل الجامعة على توسيع كلياتها بحيث تشتمل كلية الهندسة الكهربائية والالكترونية واقسام العلوم الاساسية ، كما تطمح لان تضم كليات الطب والزراعة والصيدلة .

وكاتب هذه القصة يريد تعرية الطبقة البورجوازية ، والانتصار للبروليتاريا الرثة ، ويكشف عن ابعاد التناقض الطبقي المقيت ،بل يذهب الى ابعد من ذلك حين يفضح اخلاقيات وقيم البورجوازية عندما يضع امامها ـ وعلى النقيض تماما ـ سلوك وتصرفات البروليتاريا . فاسماعيل بيك ابو الذهب يمثل كل ما يتصل بالزيف، والخداع ، والجبن ، والظهرية ، والاستغلال ، والجشع ، والتفاهة . بينما الخادم يمتلك « الذكاء ، والصدق ، والشجاعة ، والواقعية ، والايجابية في اتخاذ المواقف ! ولا شك ان الكاتب كان ذكيا في اختيار « الحدث » البسيط للدلالة على اشياء كثيرة مفقودة : ربما المساواة الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية ، واللاطبقية ، وهي طيور مفقودة من حياة البشر جميعا ، كالطائر الذي فقد من قصر اسماعيل بيك ابو الذهب . وان كان فقدانه هنا مزيفا ، لان السارق من نفس الطبقة ، ولانه سرق من اجل الزينة والمتعة الشخصية والمنفعة الخاصة. اما تلك الطيور المفقودة في حياة الخدم وغيرهم فانها ليست للزينة ولن تكون ابدا . انها طيور حادة لتلتهم الفئران الجشعة التي تنقض على طعام الصبية الصغار ، فتلتهمه .

وجريان الكاتب وراء هذا الهدف ، وتثبيت فكرته ، جعله يفتقد الشكل الفني، ويجنح نحو المباشرة الى حد كبير ، بل نراه يبالغ في تضخيم موقف الخادم ازاء اسماعيل بيك . اذ يبدو الحوار بينهما مبالغا فيه بدرجة غير واقعية ، أقرب الى الافتعال ، منه الى الموقف الصادق فنيا وموضوعيا ، وكان من الممكن الايحاء به بدلا من هذا الاسراف . وهناك فقر كثيرة يسفر الكاتب فيها عن وجهه هو ، ولا يتركنا مع الشخصية تقنعنا بسلوكها واقوالها ،او نفهمها نحن من الداخل بدلا من ان يفرضها علينا طرف ثالث فرضا تعسفيا .

ومهما يكن من شيء فان قارىء « البحث عن خالد » و« لحن جديد لاغنية قديمة » لا يستطيع بسهولة ان ينسى الاثر الذي تتركانه في نفسه ، والانطباع الذي تطبعانه عليها ، فانهما تسللتا الى الداخل بفن وبموضوعية ، في الوقت الذي اخذ فيه « الطائر المفقود »يصيح في منطقة العقل منا : منبها الى ان البورجوازية فأر شرس يلتهم طعام الصغار،منذرا بالويل الذي سوف تلاقيه على ايدي البروليتاريا، لاعنا الغنى والثروة والاغنياء والطبقية ، مفضلا شيئا مهما هو ان ذلك كله كان يحسن ان يتوسل اليه بصوت جميل موسيقي ، ليصبح اعمق اثرا ، واقوى ايقاعا ، واشد فاعلية !!

القاهرة